العرب
الأربعاء 2020/01/29
السنة 42 العدد 11601

# اللبنانيون يعرفون... والعراقيون يعرفون

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ثمّة حلقة ضائعة في كلّ ما رافق النقاش الدائر في شأن موازنة الدولة اللبنانية التي أقرّها مجلس النواب أخيرا، وذلك بغض النظر عمّا إذا كانت هذه الموازنة، التي أقرتها الحكومة السابقة وتبنتها الحكومة الحالية، ما زالت تستجيب للتغيّرات التي طرأت على الوضع اللبناني منذ السابع عشر من تشرين الأوّل – أكتوبر الماضي تاريخ اندلاع الثورة الشعبية.

تتمثّل هذه الحلقة في غياب النقاش الحقيقي الآخر الذي يفترض أن يدور بين اللبنانيين. إنّه نقاش متعلّق بسلاح "حزب الله" ودوره في جعل الوضع اللبناني وضعا غير طبيعي. لم يعد لبنان بلدا طبيعيا منذ العام 1969، تاريخ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم مع منظمة التحرير الفلسطينية. بقي لبنان بلدا غير طبيعي بعد حلول السلاح الإيراني غير الشرعي مكان السلاح الفلسطيني ابتداء من العام 1982 حين سهّل النظام السوري دخول الدفعة الأولى من "الحرس الثوري" الإيراني إلى لبنان.

**الفارق بين لبنان والعراق يكمن في أن العراقيين يتحدثون علنا عن إيران ودورها التخريبي في العراق، فيما يستنكف اللبنانيون عن ذلك إلى حد ما**

تحدّث نواب لبنانيون في جلسة مناقشة مشروع الموازنة عن كلّ شيء، باستثناء عن دور الحزب الذي يتحكّم بالقرار اللبناني والذي نقل لبنان إلى مكان آخر أدّى، في طبيعة الحال، إلى الانهيار الذي يعاني منه البلد اليوم. لو لم يصبح لبنان في مكان آخر، في المحور الإيراني، لكان هناك موقف عربي مختلف من لبنان ولكانت لدى الإدارة الأميركية مقاربة مغايرة لتلك السائدة حاليا بعد انتصار الجناح الذي يدعو في واشنطن إلى ترك لبنان لمصيره.

في المقابل، هناك وضع عراقي يشبه إلى حدّ كبير الوضع اللبناني من زوايا عدّة بعدما نزل الناس العاديون إلى الشارع في مختلف المناطق العراقية منذ أربعة أشهر يطالبون فيها بإصلاحات جذرية على كلّ صعيد. هناك حلقة عراقية ضائعة أيضا. لكنّ هذه الحلقة لا تشبه الحلقة اللبنانية الضائعة. يكمن الفارق بين لبنان والعراق في أنّ العراقيين يتحدّثون علنا عن إيران ودورها التخريبي في العراق، فيما يستنكف اللبنانيون عن ذلك إلى حدّ ما. لا يوجد سوى قلّة بين اللبنانيين تعرف، تماما، مكمن الداء وأنّه في التغاضي عن سلاح لحزب لبناني هو عبارة عن ميليشيا مذهبية تشكّل لواء في "الحرس الثوري" الإيراني.

العراقيون يعرفون ويتحدثون عمّا يعرفونه بالفم الملآن. اللبنانيون يعرفون، لكنهم يجانبون قول الحقيقة.

لا يخفي هذا الاختلاف بين اللبنانيين والعراقيين نقاط التقاء عدّة بينهما. في مقدّم هذه النقاط أن الحكومة في لبنان والعراق باتت تشكّلها إيران. تشكلت في لبنان حكومة جديدة برئاسة حسّان دياب عاجزة كلّ العجز عن القيام بأيّ خطوة إنقاذية من أيّ نوع في ظلّ الغليان في الشارع، وفي ظلّ الانحياز اللبناني الرسمي إلى "الجمهورية الإسلامية". ما دفع إيران إلى الضغط من أجل تشكيل هذه الحكومة، برئاسة شخصية لا رصيد لها يذكر في داخل طائفتها، الحاجة إلى إثبات أن لبنان ما زال ورقة في جيب طهران.

في العراق، استقالت حكومة عادل عبدالمهدي في آخر تشرين الثاني – نوفمبر الماضي، بعد شهرين من بدء الثورة الشعبية على الاستعمار الإيراني. ليس سرّا أن معظم المنتفضين في مناطق شيعية وذلك بعدما فضّل السنّة والأكراد عدم زج أنفسهم في المواجهة بين شيعة العراق العرب والميليشيات العراقية التي هي في واقع الحال ميليشيات إيرانية تعمل تحت تسمية "الحشد الشعبي". لم تستطع إيران، إلى الآن، فرض شخصية تناسبها تخلف عادل عبدالمهدي الساعي بكلّ الوسائل إلى إعادة تسويق نفسه.

الأهمّ من ذلك كلّه، أن ما يجمع بين لبنان والعراق هو الموقف الواجب اتخاذه من الإدارة الأميركية التي كشّرت مطلع هذه السنة عن أنيابها، وعملت على تصفية قاسم سليماني قائد "لواء القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني والمفوّض السامي الإيراني في العراق وسوريا ولبنان وحتّى اليمن. هناك ضياع لبناني وعراقي. في أساس هذا الضياع كيفية التعاطي مع إدارة أميركية قرّرت الذهاب إلى النهاية في تغيير سلوك إيران بعد التخلّص من كذبة الاتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني. ما يبرّر هذا الضياع اللبناني والعراقي ذلك الوجود الإيراني الطاغي والضاغط على أرض البلدين.

تمتلك إيران وسائل تخويف وترهيب لا مثيل لها إنْ في لبنان أو في العراق. أثبتت في السنوات القليلة الماضية إلى أيّ حد تستطيع الذهاب في استخدام هذه الأدوات. في النهاية، يعرف اللبنانيون تماما من اغتال رفيق الحريري ورفاقه في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005. كذلك، يعرفون تماما من نفّذ كلّ الجرائم الأخرى في حقّ مجموعة من الشخصيات اللبنانية، ومَنْ وراء حرب صيف العام 2006، ومَنْ وراء الاعتصام الطويل في وسط بيروت من أجل خنق الاقتصاد اللبناني ومن وراء غزوة العاصمة اللبنانية والجبل في السابع من أيّار – مايو 2008. أكثر ما يعرفه اللبنانيون أن "حزب الله" صار في السنوات الأخيرة يقرّر من هو رئيس الجمهورية المسيحي، وصار يختار رئيس مجلس الوزراء السنّي، في حين رئيس مجلس النواب الشيعي حليفه. أمّا العراقيون، فيعرفون قدرة أدوات إيران على القمع وعلى التصفيات وعلى ممارسة عمليات التنظيف ذات الطابع المذهبي بما يخدم مصالح طهران.

إذا أخذنا في الاعتبار تجارب الماضي القريب، خصوصا المراعاة الأميركية لإيران في عهد باراك أوباما، يبقى الخوف من أي تغيير في الموقف الأميركي هاجسا لبنانيا وعراقيا. لكنّ ذلك لا يمنع من الاعتراف، بكلّ بساطة، بأن هناك شجاعة لدى العراقيين أكبر بكثير من الشجاعة التي يمتلكها قسم كبير من اللبنانيين دفعوا في الماضي ثمن الرهان على السياسة الأميركية.

في النهاية، هل يمكن الرهان على الموقف الأميركي؟ الجواب أنّ على اللبنانيين والعراقيين أن يأخذوا في الاعتبار أن إيران ما زالت تكابر. ترفض الاعتراف بأنّ فشلها يعود إلى إفلاسها سياسيا واقتصاديا، وأن العقوبات الأميركية أدّت مفعولها، وأن اغتيال قاسم سليماني كشف أنّ ليس في استطاعتها الردّ على أميركا متى تقرّر أميركا اعتماد الجدّية فعلا. هذا لا يمنع الاعتراف بأنّ بلدين مثل لبنان والعراق سيعانيان كثيرا في الأسابيع المقبلة. يعود ذلك إلى أن "الجمهورية الإسلامية" لا تعرف أن التعاطي مع الخسارة في السياسة أهمّ بكثير من التعاطي مع الربح. أن تعرف كيف تخسر أهمّ بكثير من أن تعرف كيف تربح. إيران التي لا تعرف كيف تخسر تفضّل خوض حروبها خارج أرضها وبواسطة الآخرين. هذا ما يفسّر إلى حدّ كبير ما يعاني منه حاليا بلدان مثل لبنان والعراق...

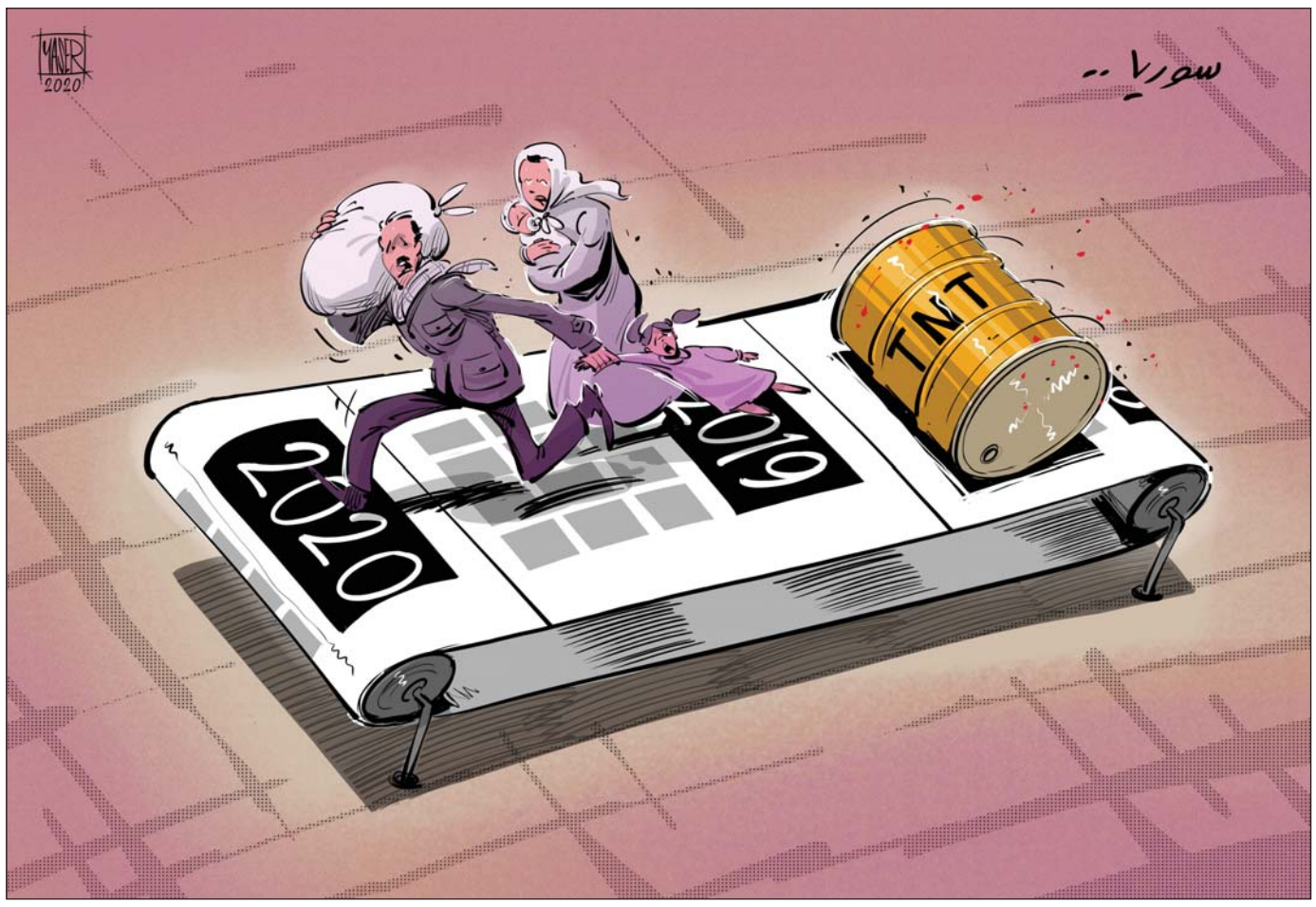


# الصدر الذي فتح الباب لتأكله الذئاب

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لن يتمكن مقتدى الصدر من تصديق أن نجمه قد أفل في الحياة السياسية العراقية، وأنه صار صفرا لن يتمكن ما تبقى من أنصاره من إعادته إلى المعادلة الرياضية التي تقوم على أساس أرقام معقدة.

كان الصدر يحرج خصومه بتقلباته غير المتوقعة، فإذا به من خلال انقلابه الأخير يُخرج نفسه من السباق ليتخلى عن كونه رقما صعبا يحيط به الغموض، ليصبح عرضة للتهميش ورمزا للخيانة بالنسبة للمحتجين، وهو ما ستجد فيه الأحزاب الموالية لإيران مناسبة لتأكيد سلامة رأيها به.

لقد صدّق الصدر أن إيران قد تبنته أخيرا، بالرغم من أنه لم يكن عدوها إلا على مستوى الشعارات المجانية. فلو كان عدوها لما جعلته يرفل بجزء كبير من ثروات الدولة العراقية من خلال الوزارات التي هي من حصته. فالصدر كان واحدا من أكبر المساهمين في حفلة الفساد التي شهدها العراق عبر الستة عشر عاما الماضية. غير أنه وبسبب كراهية الآخرين له رسم خرائط نظرية استطاع من خلالها أن يُوهمَ أتباعه بأنه يعادي إيران.

مقابل الرضا الإيراني كان على الصدر أن يقوم باحتواء الاحتجاجات، وهو ما تعهد به من خلال التشويش على تلك الاحتجاجات بتظاهرات تطالب برحيل القوات الأميركية عن الأراضي العراقية وهو مطلب الأحزاب الموالية لإيران بعد مقتل قاسم سليماني.

أما حين فشل ذلك الرهان فقد جُن جنون الصدر. ذلك لأنه أدرك أن المركب تغرق. كان انفصاله عما جرى من تحولات منذ بداية أكتوبر سببا في عماه الذي قاده إلى اتخاذ قرار لم يكن صائبا.

لقد اعتقد أن في إمكانه احتواء الاحتجاجات، ومن ثم العمل على تفتيت وتشتيت مظاهرها وصولا إلى إنهائها. تلك كانت خطته. غير أن صدمته كانت مدوّية، حين اكتشف أن ما تصوره يسيرا هو أصعب بكثير من إمكانية الوصول إليه، حتى بعد أن غامر علنا بسحب أعوانه من ساحات التظاهر.

لقد خرج المحتجون من نطاق السيطرة المتخيلة، وصارت لديهم مرجعياتهم التي يحرصون على أن يحيطونها بقدر لافت من الغموض.

حينها كان على السيد أن يعترف بأن الاحتجاجات سبقته ولم يعد رهانه قائما فيها، وأن انسحابه منها لن يؤثر عليها في شيء بل العكس هو الصحيح. لقد وهبها ذلك الانسحاب قدرا من الزخم لعب القرار المستقل دورا في تأجيجه بين الشباب.

غير أنه وكما هو متوقع من رجل دين لم يصدق ما يراه فلم يعترف بالواقع.

فبعد أن توهم أن ظفره بالرضا الإيراني سيمكنه من أن يكون سيد الساحة السياسية، فإنه لا يملك الاستعداد لمراجعة سياساته التي أودت به إلى الانفصال النهائي عن الشارع وحبسته في عزلته التي اختارها بمشيئته.

ولكن هل هناك قراءة أخرى للموقف المزري الذي انتهى إليه الصدر؟

لمَ لا يكون ما جرى هو انعكاس لمخطط إيراني لإزاحة الصدر نهائيا من الخارطة السياسية؟

تلك فرضية يمكن القبول بها في ظل العلاقة غير السويّة التي تجمع الصدر بقوى البيت الشيعي الذي كان مهددا دائما بالانهيار من الداخل بسبب تركيز الصدر على حضوره الشعبي بين الفئات الأكثر فقرا.

وإذا ما كان الصدر قد دخل إلى لعبة الحكم مستفيدا من امتيازاتها المفتوحة، فإنه نجح بطريقة مخادعة في أن يمثل دور المعارض الذي يلبس كفنه استعدادا للموت.

غير أن لقاءه الأخير بخامنئي وضع حدا لتلك الثنائية. ترى من سعى إلى لقاء الآخر؟

من المؤكد أن الصدر كان يسعى إلى أن يتم احتضانه إيرانيا بطريقة منفصلة كما لو أنه شخص استثنائي، وهو ما أتاحته له القيادة الإيرانية أخيرا.

كان الصدر غبيا حين أولى خامنئي ثقته.

من وجهة نظر الإيرانيين كان ضروريا أن يعود الصدر إلى ساحات التظاهر بوجه مختلف. وهو الوجه النقيض للمعارض، بحيث يبدو كما لو أنه يمثل الأحزاب الموالية لإيران. وكان في ذلك مقتله.

لقد تخلصت إيران من صداع الصدر في الوقت الذي صار شبحه الوطني نسيا منسيا.

# السعودية.. الدور العربي الجديد في ليبيا

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

تغري حالة الارتخاء العربي دولة مثل تركيا، على اختراق ليبيا والعبث بأرضها ونصرة الميليشيات الإخوانية التي تسيطر على قرار العاصمة طرابلس. ابتكرت أنقرة السبب الذي يعطي لتدخلها شرعية متوهمة، وصبّت الزيت على نار الفوضى، لولا دور عربي تقوده مصر قَطَعَ الطريق على أي ارتياح قد يشعر به الأتراك في عبثهم بمصير الليبيين .

ليبيا مسرح جديد لتعميق الدور العربي وإعادة بعثه من رميم الهزائم، بقيادة مصرية كانت منتظرة في وجه كل اللاعبين الإقليميين، ممن يستخف بالعرب وينتقص دورهم في معادلات بلد عربي أثقلت كاهله ورطة الأحلام السادرة وتركة حسابات الميليشيات التي مزقت أطرافه وانتهكت استقراره.

ذهب رجب طيب أردوغان بعيدا في التلويح بإيذاء مصر، وتوزيع التهم إلى السعودية والإمارات لأنها ترفض دوره في ليبيا الذي يروم شق صفوف الشعب فيها، وأخذ يبعث رسائل تلميح وتصريح بحقه المطلق في اللعب بمصير المنطقة واستقرارها، وتجاوز الحدود والخطوط، قامعا أي حق للعرب في مجرد الإنكار والرفض، وأن يتخذوا ردود فعل ترد عدوانه وتحمي حدود المنطقة العربية من عبث الاختراق التركي.

التنسيق العربي في الملف الليبي يبدو على أفضل صورة بما لم يحدث من قبل خلال العقد الماضي على أقل تقدير. جهد مصري عملي في ليبيا، وحضور إماراتي لافت في مؤتمر برلين حول ليبيا، وفي الخلفية تبدو السعودية داعمة لكل ما من شأنه إعادة الاستقرار لبلد عربي مزقته الحرب وأنهكته الفوضى، فضلا عن حجم ما تملكه الرياض من أوراق ضغط ولياقة عالية في دفع أنقرة لإعادة النظر في حساباتها وهي تجد مملكة ناشطة في قبرص واليونان وعلى ضفاف البحر المتوسط.

هل يمثل الملف الليبي فرصة لتعافي الدور العربي وإعادة تجميع قدراته المتناثرة في هموم الجسد العربي التي تتسع ولا تندمل؟ لاسيما وأن الثلاثي العربي، السعودية والإمارات ومصر، اكتسب خبرة وثقلا وثقة متبادلة في الكثير من المناسبات جعلت منه عمقا مفيدا لإسناد أي حالة منشودة لدور عربي فاعل في المستقبل المنظور.

يستثنى من هذا العمق المجهود القطري الذي نذر نفسه لكل خطوة تركية وأصبح أداة في يد أنقرة لتقديم خدمات التشويش والتمويل لأعباء التدخلات في شؤون جيرانها، الأمر الذي يزيد من عزلتها ونفور جيرانها وزيادة تكلفة عودتها إلى المحيط الطبيعي لها.

ودّت تركيا لو أنها تمكنت من المضي في خطتها العسكرية في ليبيا، لكن مؤتمر برلين الذي دعمه الثلاثي العربي وشجع نتائجه، أسقط ما في يد أردوغان وجعله مكشوفا أمام المجتمع الدولي، وعرضة لنقده رغم تهديداته بجيوش المهاجرين وإرسال مجندين سوريين والتلويح بشرعية حكومة مدججة بالميليشيات وبنفوذ يتقلص كل مرة على العاصمة المنتهكة للشعب الليبي.

أنور قرقاش، وزير الدولة للشؤون الخارجية في الإمارات، قال إن المتابع لمؤتمر برلين حول ليبيا يدرك أن حضور مصر والجزائر والإمارات والجامعة العربية ضمان ضروري، وأن البعد العربي حاضر بقوة في مساعي البحث عن السلام والاستقرار في هذا البلد العربي الشقيق.

وقال الأمر نفسه نظيره السعودي عادل الجبير، أثناء مشاركته في منتدى دافوس الاقتصادي، وسجل استمرارا لهذا الموقف المتماسك من الحالة العربية، وحافظ على حيوية وجهة النظر العربية في هذا المحفل بشأن ليبيا، وأن الرياض تعمل مع الدول العربية والدولية على استقرار ليبيا، وشدد على خطر التدخلات الخارجية في ليبيا.

تواجه تركيا وجارتها إيران اليوم، أكثر مراحلهما بؤسا، بعد أن لعبت الجبهة العربية، المشكلة من أكثر دول المنطقة فاعلية، دورا في إحباط التدخلات التركية والإيرانية في شؤون المنطقة العربية، وحجمت بمستويات مختلفة، من عبثها ونفوذها في سوريا والعراق وليبيا، ومناطق أخرى قريبة من المجال الحيوي والأمن القومي.